الفصل الثاني

عوامل ازدهار الحياة العلمية

في الثغور الاندلسية

مقدمة الموضوع

1. **انتشار الاسلام**
2. **تشجيع حكام الاندلس من الامراء والخلفاء وملوك الطوائف**
3. **الرحلات العلمية**
4. **الاجازات العلمية**
5. **المجالس الادبية**

الفصل الثاني

عوامل ازدهار الحياة العلمية في الثغور الأندلسية

ان من تعاليم الاسلام ومبادئه التي اكدها هي العلم وضرورة التعلم وان اهمية العلم جاءت بناءً على اسس ومقومات تمثلت بما جاء به القرآن الكريم ودعوته للعلم والتعلم اذ كانت اولى السور التي نزلت على الرسول الكريم محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ [1]، وقوله تعالى ممتدحاً العلماء ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [2]، كما اشار القرآن الكريم الى مكانة العلماء بالمقارنة مع الذين لايعلمون ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [3]، وبين الله سبحانه وتعالى ان العلماء هم اكثر الناس خشية لله تعالى فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [4]، كما بين الرسول الكريم محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم اهمية العلم ومكانة العلماء ((من أشراط الساعة ان يرفع العلم، ويثبت الجهل،...))[5]، وقوله ايضاً صلّى الله عليه وآله وسلّم ((ان بين يديّ الساعة اياماً يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل ويكثر فيها الهرج))[6].

وللعلم منزلة كبيرة لما فيه رقي الشعوب بمختلف اجناسها واطيافها واديانها لانه سمة حضارية بارزة وتقدمية وبه تتنافس الشعوب، وهكذا فقد ارتبطت الحياة الثقافية – العلمية بالمجالات الاخرى كافة للدولة وهي السياسية والاقتصادية

---

(1) سورة العلق، آية 1-5.

(2) سورة المجادلة، آية 11.

(3) سورة الزمر، آية 9.

(4) سورة فاطر، آية 28.

(5) النيسابوري، ابو الحسين مسلم بن الحجاج (ت 261 هـ / 874م) صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة، 2005 م) ط1، 1115.

(6) النيسابوري، صحيح مسلم، ص 1116، 1119.

والاجتماعية وهي جوانب متداخلة تمكن من استقرارها وهدوئها وارتقائها، والعناية في الجانب الحضاري بشقيه العمراني – الثقافي.

وبالغ أهل المذاهب في احترام العلماء واكرامهم والعطف عليهم لمنزلتهم في الاسلام، فقد نقل لنا ابن الازرق الغرناطي بقوله: ((ان لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك استار متنقصيهم معلومة، وان من اطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (*) [1].

وعن موقف الامام الشافعي في العلم قوله: ((العلماء واسطة بين الله سبحانه وتعالى وعباده فمن ابغضهم فقد قطع الواسطة بينه وبين الله تعالى)) [2].

وهذا يعني ان هناك عدة عوامل ساهمت في ظهور وازدهار الحياة العلمية منها :-

1- انتشار الاسلام

ان اهم العوامل التي ساعدت على ازدهار الحياة العلمية عند العرب والمسلمين عامة هو الاسلام، اذ وضع مبادئاً وقيماً للأخلاق والسلوك ومُثلاً عليا في الحياة، ولما تمت حركة التحرير العربية الأسلامية وفتح الاقاليم وقعت مسؤولية نشر الدين الاسلامي وتعاليمه، فكان للمسلمين الفاتحين احتكاكاً مع سكان البلاد المفتوحة في ترغيبهم تعاليم الاسلام وكذلك نشر اللغة العربية لغة القرآن كان على عاتق العرب الفاتحين، وقد كانت أسبانيا بحاجة ماسة الى العلم قبل الفتح العربي الأسلامي كما ذكر النص ((وكانت الأندلس قبل ذلك في الزمان القديم خالية من العلم لم يشتهر عند أهلها احد بالاعتناء به...،))[3].

وعبر البحر نفر من الصحابة والتابعين مع الجيوش الفاتحة للأندلس، وكان كثير منهم على حظ من العلم والمعرفة ولاسيما في امور الدين، وكان هؤلاء هم اوائل المؤسسين للحياة العلمية بواسطة الحلقات التي كانوا يعقدونها في المساجد وغيرها[4]، ومن بينهم ((دخل الأندلس رجل واحد من أصاغر الصحابة وهو المنيذر

(*) سورة النور، آية 63.

(1) ابو عبد الله (ت 896 هـ/ 1490م) بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار (سلسلة كتب التراث، بغداد، 1977)، ج1، ص 389.

(2) ابن الازرق الغرناطي، بدائع السلك، ج1، ص 390.

(3) صاعد الأندلسي، ابو القاسم صاعد بن احمد (462 هـ/1069م) طبقات الامم (المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعين، بيروت، 1912م) ص 62.

(4) دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الاموي، ص 382.

أو المنذر الاسلمي، كان قد صحب النبي محمد صلّى الله عليه وسلّم يقول: من قال: رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً، فانا الزعيم له فلاخذن بيده فلأدخلّنه الجنة)) [1].

وموسى بن نصير اللخمي البكري المتوفي اواخر (97 هـ/716 م) وحنش بن عبد الله الصنعاني (ت 100 هـ / 719 م) ومحمد بن ثابت الانصاري (ت 102 هـ / 721 م) [2]، وما من شك فقد كان لهؤلاء التابعين وغيرهم من الفقهاء والمجاهدين أثر كبير في تفقيه الناس والعمل على ارشادهم الى تعاليم الاسلام ومن ثم قيام حلقات العلم والدرس، وبناءً على هذا فان الرعيل الاول من الفقهاء المجاهدين في الجيش الفاتح كانوا نواة طيبة للنشاط العلمي في الأندلس ولاسيما في حقل العلوم الدينية، ومن هذا يتضح ان الجيش الفاتح لم يكن محارباً فقط بل كان هادياً ومرشداً للناس بمن كان يضمه من طوائف العلماء وأهل المعرفة[3]، وقد اشار الى ذلك صاعد الأندلسي بقوله: ((...، الى ان افتتحها المسلمون في شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين للهجرة فدامت على ذلك ايضاً لا يعني أهلها بشيء من العلوم إلا بعلوم الشريعة وعلوم اللغة)) [4].

2- تشجيع الحكام الأندلسيين من الخلفاء والامراء للحياة العلمية

نشطت الحياة الثقافية والعلمية وازدهرت في حكم بني امية للأندلس، إلا ان هذا التطور والازدهار لم يأت عابراً، وانما كانت هناك نواة طيبة غرست في أرض الأندلس سهلّت على بني امية التوجه بقدم راسخة الى هذه الحياة، وقد تمثلت هذه النواة بعصر الولاة التي كانت اساساً للجانب العلمي في العصور اللاحقة ولاسيما عصر الامارة، اذ رافق قيام الدولة الاموية التي اسسها عبد الرحمن الداخل (138 – 172 هـ / 755 – 788 م) الذي ابدى عناية تامة ولاسيما بالعلوم والآداب، والاكثار من عقد الاجتماعات الادبية والعلمية والفلسفية وكان الكثير من الخلفاء ينظم الشعر، فقد كان عبد الرحمن الثاني عالماً فاشتد ميله الى العلماء، وكان أديباً فرفع مكانة الأدباء، وكان عالماً بالفلسفة والشريعة فبجّل الفقهاء، ومن ثم ازدحم بلاطه بالعلماء والشعراء ورجال الأدب[5]، مما ادى الى عناية أهل الأندلس المميز بأمور الفكر والثقافة ورأوا انهم لابد لهم من ثقافة وفكر لينافسوا بها أهل المشرق الأسلامي الذين كانوا يفخرون

(1) المقري، نفح الطيب، ج1، 279.
(2) المقري، نفح الطيب، ج1، ص 278؛ دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الاموي، ص 383.
(3) البشري، سعد عبد الله صالح، الحياة العلمية في عصر الخلافة (المملكة العربية السعودية، 1997م) ط1، ص 34.
(4) صاعد الأندلسي، طبقات الامم، ص62.
(5) الخوري، جميلة بشارة، الطبيعة في الشعر الأندلسي (رسالة قدمت الى كلية الآداب، جامعة بيروت الامريكية، 1946م) ص 8.

عليهم ويتبارون ويتفوقون بثقافتهم ومعرفتهم الواسعة[1]، وبهذا نجد ان الحكّام الامويين وحتى عهد حكام دويلات الطوائف للمدن الأندلسية كانوا يشجعون الناس على الحياة الثقافية والعلمية، والعمل على تقدمها بشرائهم الكتب الثمينة ونسخها وارسال المندوبين الى الولايات الأسلامية لمتابعة اخبار صدور المؤلفات الجديدة من كبار العلماء والمشاهير[2]، ((...، فقد اهتم الخليفة الحكم المستنصر بالله بجمع نفائس الكتب ونوادرها في العلوم اذ خصص وكلاء ومندوبين مختصين للبحث عن المصادر من المشرق الأسلامي ومغربه ومن هؤلاء المندوبين محمد بن طرخان وراق الخليفة الأندلسي في بغداد، والمندوب محمد بن حمد المعروف بأبن الوفي الذي أقام بالبصرة قرابة 30 سنة وقد أنفق 130 الف دينار لشراء الكتب))[3].

لذلك فقد أسس الخليفة الحكم المستنصر بالله مكتبة عظيمة حوت نحو 400 الف مجلد في علوم شتى، وأخذ الكثيرون في اقتناء الكتب وانشاء المكتبات في مختلف انحاء الأندلس[4]، واخرج الحكم المستنصر بالله الاموال للشيوخ والاساتذة حتى يتفرغوا للتدريس والتأليف وخصص اموالاً جزيلة للطلاب فاعطيت المكافآت والمعونات للمحتاجين منهم[5].

وكان للحكام الأندلسيين سواءً كانوا خلفاءً أو أمراءً حضورٌ كبيرٌ في المجالس الادبية والعلمية بوصفها مرتبطة بثقافة الخليفة او الامير، وميداناً للتنافس بين حكام دويلات الطوائف.

وقد أشار المقري الى ذلك بقوله: ((ولما ثار بعد انتشار هذا النظام ملوك الطوائف وتفرقوا في البلاد كان تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد اذ نفقوا سوق العلوم وتباروا في المثوبة على المنثور والمنظوم فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول العالم الفلاني عند الملك الفلاني والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني وليس

---

(1) احمد، منى محمد شريف، وشقة في العصر الأسلامي دراسة في احوالها السياسية والفكرية (رسالة ماجستير، جامعة البصرة، 2008م) ص 74.

(2) العلمري، التفاعل الحضاري بين العرب والاسبان، مجلة دراسات تاريخية، بيت الحكمة، العدد الثاني بغداد، سنة 2000 م، ص 57؛ بدر، احمد، الحياة الفكرية في الأندلس من خلال النشاط الفكري في بلاط الحكم المستنصر، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، الجمهورية العربية السورية، العددان التاسع عشر والعشرون، 1985م، ص 111.

(3) المقري، نفح الطيب، ج3، ص 189؛ رستم، محمد بن زين العابدين، تعليقات الحكم المستنصر بالله الأندلسي على الكتب (دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م) ط1، ص 53 .

(4) دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الاموي، ص 382؛ بالنثيا، انخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1995م) ص 10.

(5) مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس (دار الرشاد، د. م، 2004م) ص 388.

منهم إلا من بذل وسعه في المكارم ونبهت الامداح من مآثره ما ليس طول الدهر بنائم))[1].

وكان ابو غالب اللغوي (ابن التبياني) ألف كتاباً فطلب منه حاكم دانية مجاهد العامري ان يضع اسمه على كتاب ألفّه مقابل اعطائه ألف دينار ومركوباً، لكن ابن غالب رفض العرض المالي ورده بقوله: ((كتاب ألفته لينتفع به الناس، واخلد فيه همتي واجعل في صدره اسم غيري واصرف الفخر له...))[2].

3- الرحلات العلمية وتبادلها

حظي العلم بعناية الانسان منذ القدم، وقد بذل في سبيله كل جهد حتى لو أضطر الى الرحلة، ولذا فقد كان طلب العلم من اقدم الاسباب التي دفعت الناس للقيام بالرحلات[3]، منذ العصر الجاهلي وبمجيء الاسلام تعمق الارتباط بين طلب العلم والرحلة ولم يقتصر طلب العلم على المشرق فحسب، وانما كانوا أول من رحل الى مختلف الامصار الأسلامية جمعاً للأحاديث النبوية، فقد كان أهل الأندلس يقبلون على العلم للعلم ذاته ومن ثم كان علماؤها متقنين لفنون علمه لانهم يسعون اليها مختارين غير مدفوعين بهدف غير التعليم وكان الرجل ينفق كل ما عنده من مال حتى يتعلم ومتى عرف بالعلم اصبح في مقام التكريم والاجلال[4]، وقد اكد ذلك ابن بسام الشنتريني بقوله: ((...، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب او طنّ بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنماً...))[5].

وتعد الرحلة ركيزة اساسية في انتعاش ثقافة وعلوم اي بلد، ومن اهم طرائق البحث عن العلم عند المسلمين فضلاً عن ان الرحلة في طلب العلم كانت تمثل جانباً من جوانب الاتصال الثقافي بين بلدان العالم الأسلامي.

وقد وعى المسلمون منذ فتحت مداركهم العلمية على الاهمية الكبرى للرحلة في طلب العلم وما تشكله من قيمة في التحصيل والتكوين، فاقبلوا على الارتحال والتنقل بين صقع وصقع رغبة في العلم وطلباً له حتى عدت الرحلات العلمية من اهم السمات او الخصوصيات الثقافية الأسلامية، ولقد كان المسلمون يصدرون في ذلك من معرفتهم للفوائد التي تحققها الرحلة من التمكن من الجوانب والتيارات العلمية

---

(1) نفح الطيب، ج3، ص 189.

(2) المقري، نفح الطيب، ج3، ص 190.

(3) نصار، حسين، ادب الرحلة (الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، 1991 م) ط1، ص 32.

(4) الشكعة، مصطفى، الادب الأندلسي موضوعاته وفنونه (دار العلم للملايين، بيروت، 1979م) ط4، ص 71.

(5) ابو الحسن علي (ت 540 هـ/1145م) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس (دار الثقافة، بيروت، د. ت) ج1 ق1، ص 12.

الزاخرة الى الرغبة في نشر مكنون الرحلة العلمي المحصل الى اتساع الثقافة العامة والى تنمية الفضائل والكمالات في النفس واخيراً كسب صداقات جديدة خالصة[1].

وجعل القرآن الكريم الراحل من اجل العلم بمثابة المنذر والمحذر لقومه كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[2]، كما جاء ذكر طالب العلم بالقرآن الكريم بلفظة سائح اذ قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

كما حث الرسول الكريم محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم عباده على السعي في طلبه فقال: ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة))، وفي حديث شريف آخر ((اطلبوا العلم ولو في الصين))[4].

وقد اشار ابن خلدون الى اهداف الرحلة واهميتها بقوله: ((ان الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، والسبب في ذلك ان البشر يأخذون معارفهم واخلاقهم وما ينحلون به من المذاهب والفضائل تارةً علماً وتعليماً وإلقاءً، وتارةً محاكاةً وتلقيناً بالمباشرة إلا ان حصول الملكات عن المباشرة والتلقين اشد استحكاماً واقوى رسوخاً، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها – أي لقاء المشايخ يوفر العلم لطالب العلم... فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الأصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها...))[5].

ولم تكن الرحلة العلمية مقتصرة على فئة معينة من العلماء وطلاب العلم، فقد كان علماء القراءات يرحلون في طلب العلم وكذلك اصحاب الفقه، الحديث والادباء إلا ان اصحاب الحديث كانوا أنشط الطلاب على الرحيل في طلب العلم، وقد اشار

---

(1) الخطيب البغدادي، احمد بن علي بن ثابت (ت 463 هـ / 1070م) الرحلة في طلب الحديث، تحقيق: نور الدين عنتر (دار الكتب العلمية، بيروت، 1975م) ط1، ص 112.

(2) سورة التوبة، آية 122.

(3) سورة التوبة، آية 112.

(4) الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد (ت 505 هـ/1111م) احياء علوم الدين (القاهرة، د.ت) ج1، ص9.

(5) عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ / 1406 م) المقدمة (دار احياء التراث العربي الاسلامي، بيروت، د.ت) ط4، ص 541.

الخطيب البغدادي الى ذلك بقوله: ((ولو كان حكم المتصل والمرسل واحداً لما ارتحل كتبة الحديث وتكلفوا مشاق الاسفار الى ما بعد الأقطار للقاء العلماء والسماع منهم في سائر الآفاق)) [1].

وتذكر المصادر ان الفقيه ابراهيم بن هارون المصمودي (ت 136 هـ /753 م) استمرت رحلته واقامته في قرطبة لطلب العلم اربعين سنة ((...، أقام بقرطبة لطلب العلم اربعين سنة))[2].

وبما أن اللغة العربية هي لغة العلوم ساعد ذلك على من يرحل في طلب العلم ان يدرس اينما ذهب في انحاء العالم الأسلامي بصرف النظر عن لغة أهل البلاد التي يرحل اليها، فقد كانت اللغة السائدة هي اللغة العربية في المساجد ودور العلم وكان يتقنها الشيوخ والطلبة على السواء[3]. كان بعض أهل الثغور الأندلسية يتحدثون أحيانا بالاسبانية لكنهم يكتبون باللغة العربية في مؤلفاتهم.

وكان الكثير من علماء الأندلس وشيوخها يرون في الرحلة لطلب العلم الى المشرق الأسلامي من الضرورات الثقافية، واخذهم عن شيوخها تشريفاً وفخراً بين علماء بلدهم[4].

وعلى العكس من ذلك كان عزوف العالم عن الاقامة في وطنه والاكتفاء بتلقي العلم على شيوخ بلده فقط فيه إشارة الى قصوره عن ادراك ما ناله الاخرون وفاز به العلماء المرتحلون في طلب العلم بعد ان اتيحت لهم الفرصة في لقاء اقرانهم العلماء في كل قطر أسلامي والاخذ عنهم مشافهه[5]، فإذا لم تكن لأحد العلماء رحلة وصف بالانقباض والاعتزال والادلة على ذلك كثيرة وردت في كتب التراجم ومنها على سبيل المثال لا الحصر، الفقيه اسامة بن محمد السرقسطي ((كانت له عناية بالعلم وطلب مشهور لم تكن له رحلة، كان فارضاً حسن البصر بالشروط))[6]. وعبد

---

(1) الكفاية في علم الرواية (دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت) ط1، ص 402.

(2) ابن الفرضي، ابو الوليد عبد ّ بن محمد بن يوسف الانصاري (ت 403 هـ/1012م) تاريخ العلماء والرواة بالأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي (دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م) ج1، ص 26؛ الضبي، بقية الملتمس، ج1، ص 276.

(3) احمد، منير الدين، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، ترجمة: سامي الصفار (دار المريخ، الرياض، 1981 م) ص 67.

(4) عباس، احسان، تاريخ الادب الأندلسي عصر سيادة قرطبة (دار الثقافة، بيروت، 1978م) ط5، ص 38.

(5) البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة، ص 91.

(6) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 72.

الرحمن بن ابراهيم الزيادي الوشقي ((كان حافظاً للمسائل عالماً برأي مالك واصحابه لم تكن له رحلة)) [1]. والفقيه يحيى بن محمد بن اسامة الوشقي ((لم تكن له رحلة، كان عالماً متقناً بصيراً بعلم الفرض والعدد)) [2].

وزقنون بن عبد الواحد الطليطلي ((كان صاحب فتوى ومسائل ولم تكن له رحلة توفي قريباً من 300 هـ/912 م)) [3]. والفقيه سهل الطليطلي المعروق بالفخار ((كان حافظاً للمسائل فاتته الرواية عن ابن مزين فروى عن نظرائه ولم تكن له رحلة توفي قريباً من 300 هـ/ 912 م))[4]. كما كانت العناية بالرحلة في طلب العلم ضرباً من ضروب التحقيق العلمي فلم يظهر كتاب الامام في فنه إلا سارع اليه طلاب العلم ليقرأه عليه بغية الانتماء وتحقيق اسناده اليه ونسبته له[5].

وكان محمد بن الشبل التطيلي (ت 353 هـ / 964 م) ((...، يُرْحَلُ اليه من مدن الثغر للسماع منه))[6] كما كان ابو يحيى زكريا بن سعيد اللاردي ((...، يسمع منه الناس كثيراً وكان يُرْحَلُ اليه من كور الثغر للسماع منه)) [7].

أما أبرز نتائج الرحلات العلمية التي قام بها علماء الثغور الأندلسية، هو جلب كتاب العين* للخليل بن أحمد الفراهيدي**، وذلك بعد الرحلة العلمية الى المشرق

---

(1) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 214.

(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 438.

(3) الحميدي، ابو عبد ّ محمد بن فتوح (ت 488 هـ/1095م) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م) ج1، ص 376.

(4) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 161.

(5) عبد العزيز، محمد عادل، التربية الأسلامية في المغرب اصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987 م) ص 30.

(6) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج2،ص 67.

(7) الرشاطي الأندلسي، الأندلس في اقتباس الانوار، ص 50.

(*) وهو كتاب في اللغة يتكون من ثمانية واربعين جزءاً، واول حروفه العين وبه سمي. ينظر: ابن النديم، محمد ابن اسحاق (ت 385 هـ/995م) الفهرست، تحقيق: رضا– تجدد (طهران، 1971 م) ص 48.

الأسلامي التي قام بها الأديب قاسم بن ثابت السرقسطي (ت 302 هـ / 914 م) الذي أدخل للأندلس علماً كثيراً[1]، ورسائل اخوان الصفا التي ادخلها الى الأندلس عمر بن عبد الرحمن بن أحمد السرقسطي (ت 458 هـ /1065م) بعد عودته من رحلته الى المشرق ((رحل الى ديار المشرق وانهى منها الى حران من بلاد الجزيرة... ثم رجع الى الأندلس وأستوطن مدينة سرقسطة من ثغرها وجلب معه الرسائل المعروفة برسائل اخوان الصفا، ولم يعلم احد ادخله الأندلس قبله))[2]، لهذا فانه لا يمكن اغفال الاسهام المميز حضارياً الذي أدته الرحلات العلمية في اثراء النهضة العلمية[3].

4- الأجازات العلمية

تعد الاجازات العلمية من أهم العوامل التي ساعدت على تطور ونمو الحياة العلمية في البلدان الأسلامية، ومن اهم مظاهر الحياة العلمية في الأندلس.

ومعنى الاجازة في اللغة أعطاء الاذن ((اجاز له سوغ له)) [4].

اما اصطلاحاً فهي اذن وتسويغ، وعلى هذا فنقول أجزت له رواية كذا، كما تقول اذنت له وسوغت له [1].

(**) ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، كان اماماً في علم النحو وهو الذي استنبط علم العروض واخرجه الى الوجود، وقيل ان الخليل دعا بمكة ان يرزق علماً لم يسبقه احد اليه ولا يؤخذ إلا عنه فرجع من حجته ففتح عليه بعلم العروض، وله معرفة بالايقاع والنغم، تلك المعرفة احدثت له علم العروض، ويقال ان ابوه احمد اول من تَسَمَّى في الاسلام احمد بعد رسول ﷺ عليه وآله وسلم. توفي سنة (107هـ/ 72م). ينظر: ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت 681 هـ/ 1282م) وفيات الاعيان وإنباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس (دار صادر، بيروت، د.ت) ج2، ص 244؛ الزركلي، خير الدين، الاعلام (دار العلم للملايين، بيروت، 2002م) ط15، ج 2، ص 314.

(1) الحميدي، جذوة المقتبس، ص 528؛ الرشاطي الأندلسي، الأندلس في اقتباس الانوار، ص 81.

(2) القفطي، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف (ت 646 هـ/1248 م) اخبار العلماء بأخبار الحكماء (مطبعة السعادة، القاهرة، د.ت) ص 162.

(3) حوالة، يوسف بن احمد، الحياة العلمية في افريقية (المغرب الادنى) ط1، ج1، ص112.

(4) الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817 هـ/1414 م) القاموس المحيط (دار الجيل للطباعة، بيروت، د. ت) ج1، ص 176.

والاجازة هي ان ((يسأل طالب العلم، العالم ان يجيزه علمه، فيجيزه إياه، والطالب مستجيز، والعالم مجيز)) [2].

وبما ان الاجازات العلمية معروفة في المشرق فقد انتقلت الى الأندلس أيضاً بانتقال الكثير من العلماء المشارقة واصبح منح الأستاذ الاجازة لطلابه أمراً شائعاً بعد تتلمذهم على يديه، وكانت تسجل في وثيقة من الرق او الكاغد (الورق) أو في الكتب التي درسها الطالب بخط الأستاذ نفسه[3].

وكان العالم يوسف بن يحيى المغامي (ت 285 هـ / 995 م) ((إماماً جامعاً لفنون العلوم عالماً بالذب عن مذاهب الحجازيين رحل في طلب الحديث وقد جاءته كتب كثيرة نحو المائة كتاب من جماعة من أهل مصر يسأله الاجازة))[4].

وقد ألف العالم والفقيه الوليد بن بكر بن مخلد السرقسطي (ت 392 هـ / 1001 م) كتاباً في تجويز الاجازة سماه (كتاب الوجازة)[5]، والفقيه محمد بن ابي سعيد الفرج السرقسطي ((رحل حاجاً ودخل العراق فسمع من جماعة واجازوا له، منهم ابن خيرون والحميدي وابا زكريا التبريزي))[6].

وسمع احمد بن سعيد بن كوثر الانصاري (ت 403 هـ/1012 م) من جماعة من علماء بلده واجاز له جماعة من شيوخ قرطبة[7].

كما اجاز المقريء محمد بن عيسى بن فرج المغامي (ت 458 هـ / 1065 م) الحافظ ابو علي الصدفي[8].

وكان كبير طليطلة وفقيهها ابو جعفر احمد بن محمد الصدفي (ت 459 هـ / 1066 م) رحل الى المشرق روى عن ابي ذر الهروي واجاز له [9].

---

(1) فياض، عبد الله، الاجازات العلمية عند المسلمين (مطبعة الارشاد، بغداد، 1967م) ط1، ص 21.

(2) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص 447.

(3) دويدار، المجتمع الأندلسي، ص 403.

(4) الحميدي، جذوة المقتبس، ج1، ص 362.

(5) الضبي، بغية الملتمس، ج2، ص 654؛ الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد معروف (دار الغرب الأسلامي، 2001 م) ط1، ج 15، ص 625.

(6) المقري، نفح الطيب، ج2، ص 154.

(7) ابن بشكوال، ابو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578 هـ / 1180م) الصلة في تاريخ علماء الأندلس (الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م) ج1، ص 36.

(8) الضبي، بغية الملتمس، ج1، ص 145.

(9) القاضي عياض، ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت 544 هـ/1149م) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تحقيق: احسان عباس (بيروت، 1968م) ج2، ص 819.

واجاز ابو عمر الطلمنكي وابو عمرو السفاقسي وابو الفتح السمرقندي عبد الله بن محمد بن اسماعيل (ت 495 هـ / 1101 م) ((...، كان وقوراً مهيباً فاضلاً نوظر عليه في المسائل قال ابو علي بن سكرة: كان افهم من يحضر عنده استقضي ببلده وكان محمود السيرة في قضائه))[1].

كما اجاز ابو عبد الرحمن بن طاهر عريب بن عبد الرحمن السرقسطي (ت 512 هـ / 1118م)[2].

5- المجالس الادبية

تُعد المجالس العلمية واحدة من أبرز عوامل تطور وازدهار الحياة العلمية في البلاد الأسلامية اذ كانت تقوم بدورها في التعليم والمناقشة والفتوى والجدل والمناضرة، ويدرس في هذه المجالس العلوم كافة، من فقه وتفسير ونحو وادب وغير ذلك.

وفي الثغور الأندلسية كان للعلماء مجالس للتدريس والفتوى والمناظرة والجدل والخلاف ومن امثلة ذلك نجد العالم والفقيه ابا عبد الله محمد بن دليق الوشقي (ت 335 هـ / 964 م) كان يعقد مجلساً للفتوى والوعظ ((...، جلس للناس يفتيهم ويحدثهم))[3].

وكان المحدث ابراهيم بن محمد بن شنظير (ت 402 هـ / 1011 م) زاهداً وقوراً حتى قيل فيه: ((...، ما رئي أزهد منه في الدنيا ولا أوقر مجلساً منه))[4].

وكان الفقيه احمد بن سعيد بن كوثر الطليطلي (ت 403 هـ / 1012 م) يعقد مجلساً علمياً في داره يقصده طلاب العلم من أماكن بعيدة ((كنت آتي اليه من قلعة رباح وغيري من المشرق وكنا نيفاً على اربعين تلميذاً فكنا ندخل في داره... وينير في مجلس قد فرش ببسط الصوف مبطنان والحيطان باللبود من كل حول ووسائد الصوف وفي وسط كانون في طوله قامة الانسان مملوءاً فحماً يأخذ دفئه كل من في المجلس فاذا فرغ الحديث امسكهم جميعاً وقدت الموائد بلحوم الخرفان بالزيت العذب وايام ثرائد اللبن بالسمن او الزبد فناكل تلك الثرائد حتى نشبع...))[5].

---

(1) ابن بشكوال، الصلة، ج5، ص 289.
(2) المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري (ت 703 هـ/1303م) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: احسان عباس (دار الثقافة، بيروت، د.ت) ج5 ق1، ص 143.
(3) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج2، ص 56.
(4) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 28، ص 57.
(5) ابن بشكوال، الصلة، ص 36.

كما كان عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي يعرف بابن العسل (ت 487 هـ/1094م) يعقد مجلساً علمياً ((له مجلس حفيل يقرأ عليه فيه التفسير...))[1]، كما وصفت بعض المجالس بالهيبة أمثال ذلك مجلس العالم والفقيه عبد الله بن محمد بن عيسى، من أهل مدينة الفرج ((كان من أهل العلم بالعربية بارعاً فيها مع وقار مجلس ونزاهه نفس...)) [2].

وكان المحدث احمد بن يحيى بن حارث الاموي من علماء الثغر الاوسط الأندلسي ((كان له مجلس في الجامع يعظ الناس فيه)) [3].

وهناك مجالس علمية يعقدها الأمراء والحكام في دورهم وقصورهم فيحضرها كبار رجال الدولة ونخبة من العلماء، مثل مجالس الامير المأمون بن ذي النون (ت 467 هـ / 1074 م) التي كانت تضم نخبة من علماء طليطلة والأندلس من مختلف العلوم: الفلكية والطبية والهندسية والرياضيات[4]، ومنها المجلس الكبير الذي يسمى (المكرم) [5].

ومن علماء الثغور الذين كانت لهم مجالس مناظرة نذكر منهم: الفقيه عبد الرحمن بن عيسى الطليطلي (ت 363 هـ / 973 م) ((اخذ ببلده طليطلة عن عبد الله بن سعيد وبقرطبة عن قاسم بن أصبغ وناظر عندهم في الفقه...، وكان يرحل اليه للرواية والتفقه))[6].

والفقيه عبد الله بن احمد بن عثمان الطليطلي (ت 417 هـ / 1026 م) ((كان يبدأ في المناظرة بذكر الله عز وجل والصلاة على النبي ثم يورد الحديث والحديثين والثلاثة والموعظة ثم يبدأ بطرح المسائل من غير الكتاب الذي كانوا يناظرون عليه فيه)) [7].

وكان الفقيه جماهر بن عبد الرحمن الطليطلي ((...، له مجلس يناظر عليه))[8].

---

(1) السلفي، ابو طاهر احمد بن محمد بن احمد (ت 576 هـ / 1180م) مستخرجة من معجم السفر للسلفي، اخبار وتراجم أندلسية، تحقيق: احسان عباس (دار الثقافة، بيروت، د. ت) ص 70؛ ابن بشكوال، الصلة، ج5، ص 285.

(2) ابن بشكوال، الصلة، ج5، ص 260؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911 هـ / 1505 م) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد ابي الفضل ابراهيم (دار الفكر، القاهرة، 1979 م) ط2، ج2، ص 59 .

(3) ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص 41.

(4) الشباني، مصطفى كامل محمد، الحياة العلمية في طليطلة الأسلامية (رسالة ماجستير، كلية التربية -ابن رشد- جامعة بغداد، 2004م) ص 65.

(5) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ج1 ق4، ص 147.

(6) ابن فرحون المالكي، القاضي برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد (ت 799 هـ/1396م) الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان (دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م) ط1، ص 243.

(7) ابن بشكوال، الصلة، ج5، ص 262؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 28، ص 424.

(8) ابن بشكوال، الصلة، ج4، ص 132.

كما كان الفقيه عبد الله بن محمد السرقسطي (ت 495 هـ / 1066 م) ((...، وقورا مهيباً فاضلاً نوظر عليه في المسائل قال ابو علي بن سكرة: كان افهم من يحضر عنده))[1].

الترجمة في الثغور الاندلسية

تعد الترجمة احد مظاهر التطور الحضاري والازدهار الفكري للمدن التي ظهرت فيها مراكز ومدارس ترجمة وانتجت مؤلفات متنوعة ومتعددة العلوم والفنون للباحثين.

يتضح مما سبق ذكره من العلوم الأدبية والعلمية في الثغور الاندلسية انها كانت من المراكز العلمية والثقافية في الاندلس.

فقد كانت مدينة طليطلة قاعدة الثغر الأندلسي الاوسط في طلائع المدن التي ظهرت مراكز ترجمة بعد سقوطها بيد الفونسو السادس Al Fonso VI سنة (478 هـ/1085 م) واصبحت على الحدود بين دولة العرب في الاندلس وبين الممالك الاسبانية واوربا، التي امتازت بكثرة مكتباتها، وقد انتقل اليها الآف المجلدات من المشرق الاسلامي ومدن الاندلس، فقد بقيت الثقافة العربية فيها حتى بعد سقوطها بيد الاسبان، وقامت فيها حركة ترجمة مؤلفة من المترجمين المسلمين والنصارى واليهود نقلوا فيها كتب العرب الى اللاتينية[2].

واشتهرت مدرسة المترجمين الطليطلين في طلائع مدن الاندلس التي تم نقل المؤلفات العربية في مختلف العلوم والآداب والفنون وتعرف في تاريخ الأدب بـ Colegiode traductores toledanos[3]، بأشراف الاسقف (رايموند Raumond) كبير الاساقفة في طليطلة الذي عهد الى يحيى الاشبيلي وهو يهودي اعتنق المسيحية بترجمة العديد من كتب العرب وكلف معه كبير الشمامسة والمترجمين دومنغو غوند يسلفي ليتوليا نقل الكتب العربية في الرياضيات والفلك والتنجيم والفلسفة وعدد من رسائل الخوارزمي ورسالة العمل بالاسطرلاب لابن

(1) ابن بشكوال، الصلة، ج5، ص 289.

(2) طه، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، ص 479.

(3) الجراري، عباس، اهمية الموسيقى والغناء في حضارة الاندلس، بحث منشور في مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية تحت عنوان التراث الحضاري المشترك بين اسبانيا والمغرب (الهلال العربية، الرباط، 1992م) ص 150.

الصفار وكتاب عبد العزيز القابسي في التنجيم وكتاب مقاصد الفلاسفة للغزالي وكتاب السماء والعالم لابن سينا[1].

وفي أكثر مدن الثغور الاندلسية صارت العناية كبيرة بالترجمة للأطلاع على ثقافة الجيران وكان المترجم هوغو القشتالي Hugo of Santalla الذي كان يعمل في مملكة اراغون قام بأهداء جميع اعماله وترجماته الى ميشيل اسقف طرسونة Tarazona منذ استعادها النصارى في سنة (513 هـ/1119 م) حتى سنة (544 هـ /1151 م)، وبعد سقوط مدينة سرقسطة قاعدة الثغر الاعلى في يد النصارى استقر بنو هود في روضة الجالون Ruda de Jalon على بعد 55 كم من طرسونة، اذ كان لسيف الدولة اخر حكام سرقسطة من اسرة بني هود علاقات ودية مع ملك اراغون Aragon الفونسو السابع Alfonso VII الذي شهد الامير العربي حفل تتويجه امبراطوراً على البلاد[2].

وان أكثر المخطوطات التي بقيت في مكتبة بنو هود اثر انتقالهم الى روضة الجالون قد استفاد منها الاسبان ومنهم هوغو الذي اعتمد على كثير من نصوص المخطوطات السرقسطية في مؤلفاته وأفاد منها ابراهام بن عزرا الدارس اليهودي الذي كان يقطن مدينة تطيلة، فضلاً عن كتب السحر والتنجيم والعلوم العربية في الثغر الاندلسي الاعلى.

ومن الجدير بالذكر انه كان الحاكم لسيف الدولة مكتبة زاخرة عامرة بوثائق المخطوطة بمقدور الاسقف ميشيل ان ينتقي منها بعض الكتب فعهد بترجمة ما انتقاه الى هوغو[3].

وكانت الطريقة بالعمل في الترجمة ان يقوم يهودي مستعرب بترجمة النص العربي شفوياً الى اللغة الاسبانية العامية ثم يتولى دومنغو غوند يسلفي الترجمة الى اللاتينية ويشاركه احياناً خوان بن داود اذ اشتركا سوية في ترجمة كتاب النفس لابن سينا ومن اشهرهم في مدرسة طليطلة ابراهام بن عزرا[4].

---

(1) بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ص 536؛ ارنولد، تراث الاسلام، ص 372؛ زبيب، نجيب محمود، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس (دار الامير للثقافة والعلوم، بيروت، 1994م) ج 2، ص 389.

(2) بيرنيت، تشارلز Chares Barnett، حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى في اسبانيا، مقالة في كتاب الحضارة العربية الاسلامية، اشراف: سلمى الخضراء الجيوسي (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999م) ط 2، ج 2، ص 1442.

(3) بيرنيت، حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى، ص 1450.

(4) طه، تاريخ العرب وحضارتهم بالاندلس، ص 480.

وقد اجتذبت مدرسة طليطلة طلاب العلم من جميع انحاء اوربا وبضمنها انكلترا ونبغ من تلامذتها الاوربيين روبرت Robert وانكليكوس اذ قدم ليدرس الفلك العربي والرياضيات في اسبانيا[1]، والذي طلب منه بطرس الجليل ان يترجم القرآن الكريم ولأول مرة كونه المرجع الاول والاساس للمسلمين الى اللغة اللاتينية واجزل له العطاء ولقيت ترجمته رواجاً واسعاً[2]، كما شاركه في الترجمة هرمن Hermann الالماني[3].

وجاء من اوربا الفيلسوف والرياضي ادلار الباثي الذي اشتهر بترجمة جداول في علم الفلك لمسلمة المجريطي، ونقل عدداً من الرسائل الرياضية والفلكية فأصبح في ذلك رائداً في موكب المستعربين الانكليز[4].

وقصد مدرسة طليطلة ودرس بها من بريطانيا ميخائيل سكوت Michael Scot الذي ترجم كتب ابن رشد الى اللاتينية[5] كما ترجم كتباً اخرى في علم الفلك والحيوان[6].

ويعد ماركوس شماس طليطلة من كبار المترجمين الذي ترجم بعض مؤلفات جالينوس الطبية المترجمة وترجم أيضاً القرآن الكريم وبعض كتب علم التوحيد[7]، وأمر الفونصو العاشر Al Fonso X El Sobio بترجمة القرآن الكريم وعدد من المراجع الدينية الاساسية[8]، وفي عهده انتشرت حركة الترجمة من العربية الى الاسبانية فترجم كتاب كليلة ودمنة وعشرات من كتب الفلك فكان لهذا اثره في قيام اللغة الاسبانية وتقدم الدراسات العلمية في اسبانيا وانتقالها الى اوربا ثانياً[9].

ولعل اكثر علماء طليطلة اثراً في الترجمة عن العربية هو الايطالي جيرارد الكرموني Gerard of Cremona الذي نقل الى اللاتينية رواية الفرغاني لكتاب بطليموس المسمى بالمجسطي وشرح الفارابي على ارسطو واصول الهندسة

(1) ارنولد، تراث الاسلام، ص 55.
(2) طه، تاريخ العرب وحضارتهم بالاندلس، ص 480.
(3) الحجي، حضارة الاسلام في الاندلس، ص 34.
(4) طه، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، ص 480؛ زيبب، الموسوعة العامة، ص 390.
(5) بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ص 539.
(6) الحجي، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، ص 34.
(7) طه، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، ص 480.
(8) الناصري، محمد المكي، الفونصو العاشر ودوره في نشر الثقافة العربية الاسلامية، مجلة اكاديمية المملكة المغربية، العدد التاسع، ص 21.
(9) طه، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، ص 481.

لأقليدس ورسائل متفرقة لأرسطو وجالينوس وابقراط وعددها واحد وسبعون مؤلفاً عربياً[1].

كما وتعد مدينة طركونة Tarragona من اهم مراكز الترجمة في الثغر الاندلسي الاعلى[2].

وتتلمذ على قسطنطين رهبان كثيرون في مونت كاسينو منهم يوحنا افلاشيوس السرقسطي الذي اعانة على ترجمة المصنفات العربية الى اللاتينية[3].

لذلك كان لمدرسة طليطلة أثر كبير في انتعاش الحياة العلمية في اوربا فتعاليم ارسطو وشروح ابن رشد انبعثت من طليطلة العربية[4].

(1) بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ص 539؛ الحجي، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ص ص 34؛ زبيب، الموسوعة العامة، ج2، ص 390.
(2) الحجي، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، ص 35.
(3) ارنولد، تراث الاسلام، ص 495.
(4) ارنولد، تراث الاسلام، ص 496.